﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ [الأنعام: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الاستِشهاد لِبَيان المقصود بالموعود مِنَ الأنباء

جاءَت هذه الآية استئنافًا مَسوقًا "لِتَعْيين ما هو المراد بالأنباء الّتي سبقَ بها الوعيد، وتقرير إتيانها بطريق الاستشهادِ"[1]؛ لترويَ لهم الأنباءَ المُشار إليها في الآيةِ السّابقةِ من إهلاكِ مَن تقدَّمَهم، ممّن هم أشدُّ قوّةً وشكيمةً منهم، وممّن أنعمَ اللّهُ عليهم بأسبابِ الخيراتِ، ثمّ طَغَوْا؛ فأهلكهم اللّهُ، وأنشأَ بعدَ هلاكِهم قومًا آخرين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعلٌ ماضٍ، الجذرُ اللّغويُّ منه (هلك)، ومعنى الهلاكِ: السّقوطُ والموتُ، والأصلُ في معناه "يدلُّ على كسرٍ وسقوطٍ، منه الهلاك: السّقوط؛ ولذلك يُقال للميّت: هلك"، وجعله الرّاغب على ثلاثةِ أنحاءَ: الأوّل: "افتقادُ الشّيءِ عنك، وهو عندَ غيركِ موجودٌ... وهلاكُ الشّيءِ باستحالةٍ وفسادٍ... والثّالث: الموت"[2]. ومعنى الإهلاك في الآية هو: الاستئصالُ، والمحوُ، والموتُ.

2) ﴿قَرْنٍ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مُجرَّدٌ، جذرُه اللّغويُّ من (قرن)، ومعنى القرنِ: الأُمَّةُ والمدّةُ، والأصلُ في معناه اجتماعُ الشّيء إلى مثله، ومنه الأُمَّةُ منَ النّاس؛ لأنّهم مُجتمعون في وقتٍ واحدٍ، وهو "الأُمَّةُ تأتي

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/170 - 171.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفّاظ: (هلك).

بعدَ الأمّة، جيل ينشأُ بعدَ جيل، كأنّها دفعةٌ منَ النّاس خارجةٌ أو ناشئةٌ بعدَ دفعة... ثمّ يُطلَقُ القرنُ على زمانِ الجيلِ منَ النّاس"[1]، "واختلفَ النّاسُ في مدّة القرن كم هي؟ فالأكثر على أنّها مئةُ سنةٍ"[2].

وذهبَ بعضُهم إلى تحديدِ القرنِ بالحالةِ الاجتماعيّةِ الّتي يكونُ عليها القومُ، بحيثُ إنَّه عبارةٌ عن أهلِ عصرٍ فيهم نبيٌّ، أو فائقٌ في العلم، أو مَلِكٌ منَ الملوك، وهذا أقربُ إلى استعمالِ القرآنِ، فالظّاهرُ أنَّ قومَ نوحٍ قرنٌ، وإنِ امتدَّ زمنه فيهم زُهاء ألفِ سنةٍ، وقومَ عاد قرنٌ، وقومَ صالح قرنٌ، ويُطلَقُ القرنُ على الزّمان نفسه[3].

3) ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾: فعل ماضٍ مزيد من (مَكَّنَ يُمَكِّنُ تَمْكِينًا)، وجذرُه اللغويُّ من (مَكَّنَ)، وهو من المكانة، "والمُكْنَةُ: التّمكن، تقول العربُ: إنّ بني فلان لذو مُكْنَةٍ منَ السُّلطان؛ أي: ذو تمكُّن". والمكانُ هو الموضعُ الّذي يحوي مَن فيه كالأشياء ونحوها، والمتمكّنُ هو ذو القدْرِ والمنزلةِ العاليةِ، ومن معانيه أيضًا "رسوخُ الشّيءِ مُتجمِّعًا... التّمكّنُ: رسوخٌ في باطن، مكّنَه منَ الشّيء، ومكّن له: جعل له عليه سلطانًا... التّمكينُ منَ الشّيء: (إنالة) ما يصحّ به الفعلُ منَ الآلاتِ والقوى"[4].

ومعنى مكّناهم في الآية: "أعطيناهم ما لم نعطكم، يُقال: مكّنتُه ومكّنتُ له: إذا أقدرتَه على الشّيء بإعطاءِ ما يصحُّ به الفعلُ منَ العدّة"[5].

4) ﴿مِّدْرَارًا﴾: صيغةُ مبالغةٍ على زنة مِفعال، منَ الفعلِ المُضعّفِ (درّ)، والجذر اللّغويّ منه (درر)، والدَّرُّ يُستعملُ في اللّبن حقيقةً، ويُستعملُ مع المطر مجازًا، ومنه درّتِ السّماءُ إذا كان مطرُها غزيرًا، والأصلُ في معنى "الدّال والرّاء في المضاعف يدلُّ على أصلين: أحدهما تولُّدُ شيءٍ عن شيء، والثّاني اضطرابٌ في شيء"، وكلا الأصلين علاقتُه واضحةٌ مع معنى الكلمة[6]، والتّعبيرُ عنِ المطرِ في الآية بالمِدرار بمعنى "المِغزار،

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قرن).
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/268.
(3) رضا، تفسير المنار: 7/255.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(5) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/10.
(6) الخليل، العين، ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (در).

ومِفعال من أسماء المبالغة، يُقال: ديمةٌ مِدرارٌ، إذا كان مطرُها غزيرًا"[1].

5) ﴿وَأَنشَأْنَا﴾: فعل ماض مزيد بالهمزة الدّالَّة على التَّعدية، الجذرُ اللّغويُّ منه (نشأ)، والإنْشاءُ: البدء، ومنه "أَنْشَأَ فلانٌ حديثًا؛ أي: ابتدأ حديثًا ورفعه"، والأصلُ في معناه الارتفاعُ، ومنه: أنشأَه اللّه، بمعنى: رفعه، وهو أيضًا إحداثُ الشَّيءِ وتربيتُه وإيجادُه[2].

و" الإنشاءُ: ابتداءُ الخَلْق، وكلُّ مَن ابتدأ خلقَ شيءٍ، واخترعَه، فقد أنشأَه، ومنه: أنشأَ الشّاعرُ القصيدةَ، وأنشأَ فلانٌ يفعل كذا؛ أي: ابتدأ في فعله، والإنشاءُ الاختراعيُّ غير المسبوقِ بمثالٍ لا يليقُ إلاّ بالباري تعالى، "والنّشوءُ يشملُ الإيجادَ، والدّخولَ في مرحلة النّمو، والتّكاملَ حتّى الاستواء"[3].

ومعنى ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ في الآية: الإيجادُ المُبتَكَرُ، وليس المرادُ بالإنشاء الولادةَ والخلقَ؛ لأنّ ذلك أمرٌ مستمرٌّ في البشر لا ينتهي، وليس فيه عِظةٌ ولا تهديدٌ للجبابرة المشركين"[4].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

سُـنَّـةُ الـلـه في إهـلاكِ الأمـمِ الـظَّـالـمـةِ، في كـلِّ الـصِّراعاتِ القائمةِ

أرشدَ الحقُّ ﷻ في الآيات السّابقةِ إلى دلائل وحْدانيَّتِه، ولكنّهم لم يؤمنوا، وكفروا وكذّبوا؛ فتوعّدهم اللّهُ بمجيء الأنباءِ الّتي لا تسرُّهم، فلينظروا إلى الأمم المُكذِّبةِ قبلَهم وما حلَّ بهم من هلاكٍ وتدميرٍ، أَفَلَم يكونوا أكثرَ منهم قوّةً وأشدَّ تمكينًا في الأرض، وأكثرَ نصيبًا واحتفالًا بخيرات الدّنيا، وأسباب المعيشةِ؛ إذ أنعمَ اللّهُ عليهم بإنزال الأمطارِ وجريان الأنهارِ من تحت مساكنِهم؛ استدراجًا

(1) الهمذانّي، الكتاب الفريد: 2/564.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نشأ).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نشأ).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/140.

وإملاءً لهم، لكنّهم مع ذلك جعلوا همَّهم الفوزَ بالطّيّبات، ووطّنوا قلوبَهم على كواذبِ الأمنياتِ، فجاءهم عذابُنا وأُهلكوا، ثمّ أنشأنا بعدهم قَرْنًا آخرين غيرهم، سكنوا مساكنَهم؛ فهذه سنَّتُه تعالى انتقامًا من أعدائه، وإكرامًا لأوليائه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصلِ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ عمَّا قَبلَهُ:

فُصِلَ قَولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ عمّا قَبلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، فبينَ الجُملتينِ شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّ اللهَ سُبحانَهُ لمّا ذكَرَ الأَنباءَ المُتوعَّدَ بها؛ أثارَ ذلك في نفسِ المُتلقّي سُؤالًا وهو: ما الأنباءُ الّتي توُعِّدوا بها؟ فجاءَ الجوابُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾؛ لتعيينِها وتقريرِ إتيانِها بطريقِ الاستشهادِ[1].

تَعيينُ الأَنبَاءِ المُتَوَعَّدِ بِها، والاستشهادُ على الهلاك من بعد التَّمكينِ

دلالةُ الاستفهامِ الإنكاريِّ التَّوبيخيِّ:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: الهمزة هنا للاستفهامِ الإنكاريِّ التّوبيخيِّ، وفيه تيئيسٌ من أن يتّعظَ هؤلاء، أو يتفكّروا بما حصلَ من إهلاكِ القرونِ الماضيةِ "الّذين أهلكَتْهم حوادثُ خارقةٌ للعادة، يدلُّ حالُها على أنّها مُسلَّطةٌ عليهم منَ اللهِ عقابًا لهم على التَّكذيب"[2].

السِّياقُ يحمل معنى التَّيئيسِ ممَّن لا يتَّعظُ بما حصل للأممِ المُهلَكَةِ

دلالَةُ (كَمْ) في قَولِه تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾:

﴿كَمْ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ خبريَّةٌ، وهيَ الدّالَّةُ على العدَدِ الكثيرِ المُبهَمِ، وهيَ في الآيةِ مُفيدَةٌ

كَثْرَةُ المُهلَكِينَ مِنَ الأُمَمِ الكافِرَةِ، عِبرةٌ لمن طغى وتجبَّر

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/110، والآلوسّي، روح المعاني: 4/89، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/136.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/136.

كثرةَ المُخبَرِ عنهم تهويلًا لهذا الخَبَرِ[1]، وفيه تعريضٌ بأنَّ إهلاكَ المُكذِّبينَ المُخاطَبينَ بالآيَةِ أصالَةً أمرٌ يسيرٌ على اللهِ سُبحانَهُ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالهلاكِ، مع أنَّه أمرٌ واقعٌ على الجميع:

التَّعبيرُ بالهلاك؛ لأنَّ الكافرَ قد باعَ الدِّينَ بالدُّنيا

ظاهرُ قولِه: ﴿أَهْلَكْنَا﴾ مع ما تقدّمه مِن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ يوهِم بأنّ التَّعبيرَ هنا من بابِ الزَّجرِ والرَّدعِ، وهو غيرُ مرادٍ؛ لأنّه "ليس المقصودُ منه الزَّجرَ بمجرَّد الموتِ والهلاكِ، بل المقصود أنّهم باعوا الدّين بالدُّنيا؛ ففاتهم وبقوا في العذاب الشَّديدِ بسبب الحرمانِ عنِ الدّين، وهذا المعنى غيرُ مُشْتَرَكٍ فيه بين الكافرِ والمؤمنِ"[2]، فكلاهما يقضي عليه الموتُ، إلّا أنّ خسارةَ الكافرِ أعظمُ من خسارة المؤمنِ، ويؤيّدُه أنَّ (كم) في هذا الموضعِ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ جاءَت لإفادة التّعظيم[3].

سِرُّ إسنادِ فِعلِ الإهلاكِ إلى ضَميرِ العَظَمَةِ في: ﴿أَهْلَكْنَا﴾:

قُوَّةُ إهلاكِ المُكَذِّبينَ بالآياتِ وشِدَّتُه

أُسنِدَ فعلُ الإهلاكِ إلى (نا) الدّالَّةِ على العَظَمةِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ إشعارًا بشدَّةِ هذا الإهلاكِ وقوَّتِه؛ فإنَّ اللهَ سُبحانَهُ أهلَكَهُم بعظَمَتِه[4]، وما كانَ كذلكَ فإنَّ إهلاكَهُ يكونُ شديدًا.

دلالَةُ ﴿مِن﴾ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِم﴾:

أثَرُ مَعاني الحُروفِ في إفادَةِ دَقائِقِ المَعاني

﴿مِن﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أفادَت معنَيَيْن:

أحدُهُما: تَوكيدُ المَعنَى وتَقويَتُهُ، وهذا هو المَعنَى الغالِبُ على (مِنْ) الواقِعَةِ مَعَ (قَبلُ) و(بَعدُ).

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/22، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/137.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/168.
(3) العكبريّ، التّبيان: 1/481.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/23.

والآخَرُ: الإيماءُ إلى أنَّ المرادَ ناسٌ مُعَيَّنونَ لم يستغرِقوا زمنَ القَبلِ، والمرادُ بهم أهلُ التَّمكينِ الزّائدِ، كقومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ[1].

وجهُ الإيجاز في قوله: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾:

الـحـذفِ على تقديرِ: أهلِ قرنٍ

قوله: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾، القرنُ هو المدّةُ منَ الزّمان في أحد معانيه[2]، ولمّا كان الهلاكُ مختصًّا بالأناسيّ والبشر؛ فإنّ قولَه: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ هو على تقديرٍ من أهلِ قرنٍ على حذفِ مُضافٍ؛ للإيجاز.

عِلَّةُ فَصلِ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عمَّا قَبلَهُ:

بَـيـانُ كَـيْـفـيَّـةِ هَلاكِ المُكَذِّبِينَ وَتَفصِيلُ دواعيه

فُصِلَ قَولُ اللهِ ﷻ: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾؛ لكونِهِ استئنافًا بيانيًّا، فَبَينَ الجُملتَينِ شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ، وذلك لأنَّ قولَهُ سُبحانَهُ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أَورَثَ في نفسِ المُتَلَقّي سُؤالًا، وهو: ما كانَ من حالِ هؤلاءِ؟ فجاءَ الجَوابُ في قَولِهِ تعالى: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ لبيانِ كيّفيَّةِ إهلاكِهم وتفصيلِ مبادئِهِ[3].

بلاغةُ الالتفاتِ منَ الغَيبةِ إلى الخطابِ:

الـتَّـعـريـضُ بالـمُـخاطَبين، من كونهم أقلَّ تـمـكـيـنًـا مـمَّـن سبقَهم

قولُه تعالى: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، ﴿لَّكُمْ﴾ تعبيرٌ فيه التفاتٌ منَ الغَيبةِ إلى الخطابِ؛ لأنّ ما قبلَه هو قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهي تعبيراتٌ دالّةٌ على الغَيبةِ من ﴿يَرَوْا۟﴾ و﴿قَبْلِهِم﴾ و﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾، ثمّ انتقل إلى الخطابِ ﴿نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، "ولكم خطابٌ لهم فهو التفاتٌ... وفي هذا الالتفاتِ تعريضٌ بقلّةِ تمكينِ هؤلاء، ونقصِهم عن أحوالِ مَن سبق، ومع تمكين أولئك في الأرض؛ فقد حلّ بهم الهلاكُ، فكيف لا يحلُّ بكم على قلّتِكم، وضيقِ خطّتِكم؟!"[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/22.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/128.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/439، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/111.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/438.

وهذا التفاتٌ موجَّهٌ إلى الّذين كفروا؛ لأنّهم المُمكَّنون في الأرض وقتَ نزول الآيةِ، وليس للمسلمين يومئذٍ تمكينٌ، والمعنى فيه: أنَّ الأممَ الخاليةَ منَ العربِ البائدةِ كانوا أشدَّ قوّةً وأكثرَ جمعًا منَ العرب المُخاطَبين بالقرآن، وأعظمَ منهم آثارَ حضارةٍ وسطوةٍ.

وحسبُك أنَّ العربَ كانوا يضربون الأمثالَ للأمور العظيمةِ بأنّها عاديَّةٌ أو ثَموديَّةٌ أو سَبئيَّةٌ، كما قال تعالى: ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الرّوم: 9]؛ أي: عَمر الّذين من قبل أهلِ العصر الأرضَ أكثرَ ممّا عمرها أهلُ العصر[1].

والالتفاتُ لما في مواجهتهم بضعف حالِهم منَ التَّبكيت ما لا يخفى. وقيل: ليتَّضحَ مرجعُ الضّميرين، ولا يشتبهُ من أوَّل الأمر، وهي نكتةٌ في الالتفات لم يُعرِّج عليها أهلُ المعاني، كما ذكر الآلوسيّ[2].

الفرقُ بين (مكَّنه) و(مكَّن له)، وأثرُ ذلك في السِّياق:

مكَّنه: جعله مُتمكِّنًا منَ التَّصرُّف التّامِّ فيه، ومكَّنَ له: هيَّأ له أسبابَ التَّصرُّف

كان الظّاهرُ أن يُقال: مكّنّاهم في الأرض؛ أي: القرون ما لم نمكّنهم؛ أي: الكفّارُ المحكيُّ عنهم المُستفهَمُ عن حالهم، فعَدَل عن ذلك بالالتفات عنِ الغَيبةِ إلى الخطابِ لما في إيرادِ الفعلين بضميرَي الغَيبة من إيهامِ اتّحادِ مرجعِهما، وكونِ المثبَتِ عينَ المنفيِّ، فقيل: ما لم نمكّنْ لكم، وإنّما لم يقُلْ: (ما لم نمكّنكم) أو (ومكّنّا لهم ما لم نمكّنْ لكم)، وهو مُقتضَى المطابقة لنكتة دقيقةٍ لا يدركُها إلّا مَن عَلِم الفرقَ بين مكَّنَه ومكَّنَ له، "والتَّحقيقُ أنَّ معنى مكّنه في الأرض أو في الشّيء: جعلَه مُتمكّنًا منَ التَّصرُّفِ، تامَّ الاستقلالِ فيه. وأمّا مكَّن له فقد استُعملَ في القرآن مع التّصريح بالمفعول به ومع حذفه، فالأوّل: كقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ [النّور:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/138.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/90.

55]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: 57]، والثّاني: كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يوسف: 56]، وقوله في ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبًا ٨٤﴾ [الكهف: 84]، فلا بدّ في مثلِ هذا من تقديرِ المفعولِ المحذوفِ مع مراعاةِ ما يناسبُ ذلك من نُكَتِ الحذفِ، ككون المفعول في هاتين الآيتين عامًّا يتناولُ كلَّ ما يصلحُ للمقام، كأن يُقال: مكّنّا ليوسف ولذي القرنين في الأرض جميعَ أسبابِ الاستقلالِ في التّصرف.

وجوهُ البلاغةِ في قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾:

الأمـمُ السّابقةُ كـانـت أشـدَّ تـمـكـيـنًـا في الأرض، وأكـثرَ بطشًا وقوّةً

في هذه الآية احتباكٌ[1]، وهو منَ الأنواع البديعيّةِ، وهو مُترتِّبٌ على فَهْم ما سبق منَ الفرق بين (مكَّنه) و(مكَّن له) أنَّ في الآية احتباكًا تقديره: (مكَّنّاهم في الأرض ما لم نمكِّنكم)، و(مكّنّا لهم ما لم نمكِّن لكم)، ومعنى الأوّل: أنَّهم كانوا أشدَّ منكم قوّة وتمكّنًا في أرضهم، فلم يكن يوجدُ حولهم مَن يضارعهم في قوّتهم، ويقدرُ على سلب استقلالِهم، ومعنى الثّاني: أنّنا أعطيناهم من أسبابِ التّمكُّنِ في الأرض، وضروبِ التَّصرُّف، وأنواعِ النِّعم ما لم نعطكم. فَحُذِفَ مِن كلٍّ منَ المتقابلين ما ما أُثْبِتَ نَظيرُهُ في الآخر، وهذا من أعلى فنون الإيجازِ، الّذي وصل في القرآن إلى أوج الإعجازِ، ويصدقُ كلُّ منَ التّمكينَين على قوم عادٍ وثمودَ وقوم فرعونَ وغيرهم، كما يُعلَمُ مِن قصص الرُّسلِ في القرآن، ومن التّاريخ العامِّ[2].

ويُكنَّى بالتّمكين عنِ الإقدار وإطلاقِ التّصرّف؛ لأنَّ صاحبَ المكانِ يتصرّفُ في مكانه وبيته، ثمّ يُطلَقُ على التّثبيتِ والتّقويةِ والاستقلالِ بالأمر، ويُقال: هو مكينٌ بمعنى ممكَّن، فعيلٌ بمعنى مفعول. قال

(1) الاحتباك: وهو نوعٌ عزيزٌ، وهو أن يُحذَفَ منَ الأوّل ما أُثبت نظيرُه في الثّاني، ومنَ الثّاني ما أُثبت نظيرُه في الأوّل.

(2) رضا، تفسير المنار: 7/257.

تعالى: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ [يوسف: 54]، فهو كنايةٌ أيضًا بمرتبةٍ ثانيةٍ، أو هو مجازٌ مُرسَلٌ مُرتَّبٌ على المعنى الكنائيّ. فمعنى مكَّنه: جعله متمكِّنًا، ومعنى مكَّن له: جعله متمكّنًا لأجله؛ أي: رعيًا له، مثل: حَمِدَه وحَمِدَ له، فلم تزدْهُ اللّام ومجرورُها إلّا إشارة إلى أنّ الفاعلَ فعلَ ذلك رغبةً في نفعِ المفعول. واستعمالُ التّمكين في معنى التّثبيتِ والتّقوية كنايةٌ أو مَجازٌ مُرسَلٌ؛ لأنّه يستلزمُ التّقويةَ، وقد شاعَ هذا الاستعمالُ حتى صار كالصّريح أو كالحقيقة[1].

دِلالَةُ (أل) في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

مِن نِعَمِ اللهِ تعالى على عِبادِهِ، إمدَادُهُم بأسبَابِ التَّمكِينِ في الأَرضِ

اللّامُ في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ من قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾ لامُ العَهدِ العِلميِّ، والمُرادُ: تمكينُ اللهِ تعالى لهؤلاءِ في الأَرضِ الّتي في حيِّزِهم، لا في عمومِ الأرضِ.

ويجوزُ أَن تكونَ اللّامُ لامَ الجنسِ المُفيدَةَ عمومَ البقاعِ المندرجةِ تحتَ هذا اللَّفظِ، ويكونُ مِن العامِّ الّذي يُرادُ بهِ الخصوص، على طريقةِ المجازِ المُرسَلِ بعلاقَةِ العموميَّةِ، ونُكتَةُ التَّعبير بالعُموم: الإيماءُ إلى أنَّ تمكينَهُم في الأرضِ الّتي في حيِّزِهم بمنزِلَةِ تمكينِهم في عمومِ الأرضِ؛ لأنَّ ما أوتوهُ من أسبابِ التَّمكينِ في أرضٍ خاصَّةٍ صالحٌ للتَّمكينِ في أرضٍ أُخرى.

نُكتَةُ إِسنَادِ فِعلِ الإرسالِ إلى ضَميرِ العَظَمَةِ: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا﴾:

الإيماءُ إلى رفعة قَدرِ الماءِ المُنزَلِ مِنَ السَّمَاءِ

أُسنِدَ فعلُ الإرسالِ إلى الضَّميرِ (نا) الدّالِّ على العَظَمةِ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾ إيماءً إلى رِفعَةِ هذا الإرسالِ وشرَفِهِ، وجليلِ منزلَةِ المُرسَلِ.

بلاغةُ المجازِ المُرسَلِ في قوله: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ مجازٌ مُرسَلٌ علاقتُه المحليّة؛ لأنّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/138.

الإرسالَ لا يكونُ للسّماء؛ "فالآيةُ تريدُ بالسّماء المطرَ، ولهذا فقد ذكرتِ المحلَّ الّذي يأتي منه المطرُ (السّماء)، وأرادتِ المطرَ نفسه؛ فالعلاقةُ إذًا محليّةٌ"[1].

علاقةُ المجازِ المحليَّةُ؛ للدَّلالة على الكثرة

وجهُ صيغةِ المبالغةِ على زنة (مفعال) في قوله: ﴿مِّدۡرَارٗا﴾:

لفظ ﴿مِّدۡرَارٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾، "أي: ذات غيثٍ كثيرٍ، ومِفعال من أسماء المبالغة، يُقال: ديمةٌ مدرارٌ، إذا كان مطرُها غزيرًا دائمًا، وهذا كقولهم: امرأةٌ مذكارٌ، إذا كانت كثيرةَ الولادةِ للذّكور، وكذا مئناث في الإناث"[2]، فالتَّعبيرُ عنِ المطر بالمدرارِ دالٌّ على الكثرةِ والغزارةِ؛ إشارة إلى فيضِ كرمِه تعالى على خلقه، وإنعامِه عليهم، قال الفخرُ الرّازيُّ: "يُقال: سحابٌ مِدرارٌ إذا تتابعَ أمطارُهُ، ومِفعالٌ يجيءُ في نعتٍ يُرادُ المبالغةُ فيه، قالَ مُقاتلٌ: (مِدرارًا) مُتَتابعًا مرّةً بعدَ أُخرى، ويستَوي في المِدرارِ المذكّرُ والمؤنّثُ"[3].

التَّعبيرُ بالمبالغةِ للإشارة إلى فَيضِ كرمِهِ تعالى على خلقِهِ

سِرُّ التَّعبيرِ بِالجَعلِ دُونَ الإجرَاء:

عُبِّر بالجَعلِ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾، دُونَ الإجراءِ، فلَم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (وأَجرَينا الأنهارَ مِن تَحتِهم)؛ لِما في التَّعبير بالجَعلِ مِنَ الدِّلالَةِ على كونِها مُسخَّرةً لهُم، دائمةَ الجريانِ على الوَجهِ المذكورِ في الآيةِ ما ليسَ في: (وأَجرَينا الأنهارَ مِن تَحتِهم)[4]، ففيه إبرازُ عظيمِ مِنَّةِ اللّهِ سُبحانَهُ عليهم، ويلزَمُ مِن هذا شناعَةُ كُفرانِهم وجحودِهم.

مِن مِنَنِ اللهِ على العِبادِ: تَسخِيرُهُ الأَنهارَ لَهُم، وإِدَامَتُهُ جَرَيانَها

دِلالَةُ (أل) في ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾:

اللّامُ في الأَنهار مِن قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن

الأَنهارُ شريانُ الحياةِ عند الأُممِ

(1) ديب، علوم البلاغة، ص: 226.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن: 2/229.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/168.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/111.

﴿تَحۡتِهِمۡ﴾، لِتَعريفِ الجِنسِ، فيكون في قوَّةِ النَّكرةِ، والمَعنَى: وجعلنا أنهارًا تجري مِن تَحتِهِم.

ويجوزُ أَن تكونَ لِلعَهدِ الحضوريِّ، والمرادُ: الأَنهارُ الّتي يتَمتَّعونَ بِمياهِها شُربًا واغتِسالًا ونظرًا، وغيرَ ذلكَ مِن وجوهِ الانتفاعِ والاستِمتاعِ.

دلالةُ المجازِ العقليِّ في قوله: ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي﴾:

الأنهارُ لا تجري إنَّما الَّذي يجري ماؤُها

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾ مجازٌ عقليٌّ، علاقته المكانيّة، وقوله: ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي﴾ فيه إسنادٌ إلى المحلّ، أو المكان؛ "فقد أسندَ الجريَ إلى الأنهار، وهي أمكنةٌ للمياه، وليست جاريةً، بل الجاري ماؤها"[1]، والغايةُ توسيعُ النِّعم عليهم، يؤيّده سياقُ الجملة المشتملُ على ضروبٍ منَ التّعبيرات الجَمْعيَّةِ، كالضّمير (نا) في ﴿وَجَعَلۡنَا﴾، وصيغة جمعِ التّكسيرِ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾، وضمير الجمعِ (هم) من ﴿تَحۡتِهِمۡ﴾، ومع كلّ ذلك، لكنّهم كَفَروها.

دلالَةُ وَصفِ الأَنهارِ بِجَري مائِها:

أَحسَنُ المِيَاهِ ما كانَ جارِيًا؛ لأنَّه متجدِّدٌ

وَصفُ الأَنهارِ بِجَري مائِها في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾، يُراد به المدحُ؛ وذلك لأنَّ أَحسَنَ المياهِ ما كانَ جاريًا؛ لأنَّ ذلك يَقتَضي كونَه جَديدًا كلَّما اغتُرِفَ أَوِ اغتُسِلَ منه. وَأَصلُ الجَري: شِدَّةُ سُرعةِ المَشي، وإطلاقُهُ على سَيَلان الماء سَيلًا مُتكرِّرًا مُتَعاقبًا مَجازٌ، وفيهِ مَسلَكانِ: أحدهما: أنَّه مجازٌ بالاستِعارَةِ؛ ووجهُهُ: أنَّه شُبِّهَ سيَلانُ الماءِ سَيلًا مُتَكرِّرًا مُتعاقِبًا لشِدَّة سُرعة المشي؛ لجامعِ سُرعةِ الانتِقال والحركةِ في كلٍّ مِنهُما، فيكونُ مِنَ الاستِعارَةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

والآخَرُ: أنَّه مجازٌ مُرسَلٌ بعلاقةِ الإطلاقِ والتَّقييدِ، فأصلُ

(1) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 255.

الجري: شدَّةُ سُرعة المشي، ثُمَّ أُطلِقَ عَن قَيدِ المشي، واستُعمِلَ في شِدَّة السُّرعةِ مُطلَقًا. وهو على كِلا الوَجهَينِ أدخَلُ في مَدحِ الماءِ الجاري؛ لاقتِضائِهِ المبالغةَ في جِدَّتِهِ بشدَّةِ جَريِهِ.

دلالةُ دخولِ ﴿مِن﴾ على الظَّرف ﴿تَحۡتِهِمۡ﴾:

تفجُّرُ الأنهارِ يكونُ من منابعها السَّخيَّةِ بعنصرِ الحياةِ

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾: ﴿مِن﴾ حرف جرٍّ، داخلٌ على الظَّرف ﴿تَحۡتِهِمۡ﴾، وهي ابتدائيّةٌ، أو لبيانِ ابتداءِ جريانِ الأنهارِ؛ فيصوّرُ تفجّرَها من منابعها، وهي إذ ذاك أطيبُ طعمًا، وأغنى شربًا؛ لأنَّه لو قال: (تجري تحتهم) لَفُهِم أنّها تنبعُ من مكان بعيدٍ، ثمّ تصلُ إليهم ممّا قد يحصل فيه تغيّرٌ لطعمها مدّةَ جريانها.

بلاغةُ تقديمِ إرسالِ السَّماءِ على جعلِ الأنهار تجري:

إرسالُ السَّماءِ سببٌ لجريانِ الأنهارِ، وبه اتِّساعُ الأرزاقِ

في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾، ذكرَ جملتين قدّمَ إحداهما على الأخرى؛ فقدَّمَ إرسالَ السّماءِ عليهم مدرارًا على إجراء الأنهارِ من تحتهم، "والمعنى: أنّه تعالى مكَّنَهم التّمكينَ البالغَ، ووسّعَ عليهم الرّزقَ؛ فذكرَ سببَه، وهو تتابعُ الأمطارِ على قَدْر حاجاتِهم، وإمساكُ الأرضِ ذلك الماء، حتّى صارتِ الأنهارُ تجري من تحتهم؛ فكثُرَ الخصبُ؛ فأَذْنَبوا؛ فأُهلِكوا بذنوبهم"[1]، فالجملةُ الأولى سببٌ للثّانية.

دلالةُ عطفِ الإهلاكِ، على جعْلِ الأنهار تجري:

الكفرُ والعصيانُ بعدَ الإنعامِ يؤدّي إلى الإهلاكِ

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾، جملةُ الإهلاك معطوفةٌ على ما سبقَ مِن جعلِ الأنهار، وظاهرُ الجملةِ الثّانيةِ أنّه حصلَ الإهلاكُ بعدَ الإنعامِ عليهم بتلك النّعم، فظاهرُه حصولُ الإهلاكِ بعد الإنعام؛ لأنّ الفاءَ للتّعقيب؛

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/440.

فيكون ثمّة محذوفٌ تقديره فكفروا، ثمّ عصوا؛ فأهلكهم اللّهُ[1]؛ فيكون كفرُهم وعصيانُهم سببًا لإهلاكهم، وليس الإنعامُ هو السّبب، على طريقة أنِ ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة: 60]، أي: فضرب فانفجر.

سِرُّ التَّعبيرِ عَنِ الكُفرِ بالذَّنبِ في: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾:

التحذيرُ من مُطلَقِ الذُّنوبِ؛ لأنَّها مُهلِكَةٌ

الذُّنوبُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ يُرادُ بها الكفرُ وتكذيبُ الرُّسُلِ، كما يَدلُّ على ذلك التَّنظيرُ بحالِ مَن قالَ اللهُ فيهم: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾، و﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾، و﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾، و﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾[2]، والذُّنوب في الأصلِ أعمُّ منَ الكُفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ، فيكونُ في الآيةِ مجازٌ مرسَلٌ، بعلاقةِ العموميَّةِ، والنُّكتَةُ في ذلكَ: التَّحذيرُ من مُطلَقِ الذُّنوبِ؛ لكونِ الذُّنوبِ يَجُرُّ بعضُها بعضًا، ولأنَّ الإهلاكَ الشَّديدَ كان بسَبَبِ الكُفرِ، وهو ضربٌ منَ الذُّنوبِ، فيُخشَى لِمَن تلبَّسَ بالذُّنوبِ الّتي هيَ دونَ الكُفرِ أن يُصيبَهُ نصيبٌ منَ الإهلاكِ، وإن كانَ دُونَ الإهلاكِ الشَّديدِ الّذي ينالُ أهلَ الكُفرِ الأكبَرِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالإنشاءِ في الآيةِ الكريمة:

التَّعريضُ بهلاك الكافرين، وأنَّ غيرهم سيحلُّون محلَّهم

في قوله تعالى: ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾: الإنشاءُ هنا ليس المرادُ منه الخلقَ والولادةَ، فإنّ ذلك أمرٌ دائمٌ مستمرٌّ في البشر حتّى يرثَ اللّهُ الأرضَ ومَن عليها، وليس فيه تهديدٌ أو وعيدٌ لهؤلاء، إنّما المقصودُ "من هذا تعريضٌ بالمشركين بأنّ اللّه مهلكُهم، ومنشئٌ من بعدهم قَرْنَ المسلمين في ديارهم، ففيه نِذارَةٌ بفتحِ مكّةَ وسائرِ بلادِ العربِ على أيدي المسلمين"[3].

(1) ابن جُزَيّ، التّسهيل: 1/254.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/140.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/140.

دِلالَةُ (مِنْ) في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾:

أَثَـرُ مَـعـانِي الـحُـروفِ في إِفـادَةِ دَقـائِـقِ المَعانِي

﴿مِنۢ﴾ في قَولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ أفادَت معنَيَين:

الأوَّلُ: تقويَةُ المَعنَى وتَوكيدُهُ، وهذا المَعنَى هو الغالِبُ على (مِنْ) الواقِعَةِ مَعَ (بَعدُ) و(قَبلُ).

والآخَرُ: أنَّ قولَه: ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ اللّهَ سُبحانَهُ لَم يجعَلْ لأحدٍ الخُلدَ، ولذا أدخلَ الجارَّ فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ أي: فيما كانوا فيه[1].

نُكتَةُ وَصفِ ﴿قَرۡنًا﴾ بـ ﴿ءَاخَرِينَ﴾:

إِفناءُ اللهِ تعالى للقرون المُكَذِّبةِ فَناءً تامًّا

وُصِفَ القَرنُ بالآخَرينَ من قَولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾؛ للدِّلالَةِ على أنَّ اللّهَ ﷻ لَم يُبقِ مِنَ المُهلَكينَ أَحَدًا، وأنَّ هذا القَرنَ الثّاني المذكورَ في قولِه: ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ لا يَرجِعُ إلى القرنِ الأوَّلِ بِنَسَبٍ[2].

المتشابهُ اللَّفظيُّ في سرِّ دخولِ الواوِ بعدَ الاستفهامِ، في مواضعَ، وخلوِّه منها هنا:

دخـولُ الـواوِ مُؤذِنٌ بالتَّبكيت والـتَّـقـريـع لغفلتِهم

في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾، ذكرَ في هذا الموضعِ ﴿أَلَمۡ﴾ الهمزةَ وحرفَ الجزم، وذكرَ معها الواو (أولم) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشّعراء: 7]، فيُسأَلُ عن الفرق بين الموضعين؟ والجواب عن ذلك: أنَّ كلَّ "موضعٍ فيه بعد ألفِ الإنكارِ واو؛ ففيه تبكيتٌ على ما يسهّل الطّريقَ إلى ما بعد الواو، فالاعتبارُ به لكثرةِ أمثالِه، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشّعراء: 7]، كأنّ قائلاً قال: كذّبوا الرّسولَ، وغفلوا عنِ الفكرِ والتّدبّرِ؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/24.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/24.

فقد فعلوا ذلك، ولم ينظروا إلى المشاهداتِ الّتي تنبّهُ الفكرَ فيها منَ الغفلة"[1]؛ لأنّ مثلَ تلكم الآياتِ معطوفةٌ على ما قبلها بالواو، أمّا غيرُ المعطوفة بالواو فالاعتبارُ حاصلٌ ابتداءً من غير عطفٍ، فذكر في تكملة الآيةِ من إهلاكِ مَن قبلهم، والتّمكينِ، وإرسالِ الرّسلِ وغيرها. وآيةُ الأنعام هذه لم يتقدّمْ قبلها ما يشيرُ إلى التّذكّرِ والعِبرةِ المُفْضيَيْنِ إلى التّقريع، وعن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، أجابَ الغرناطيُّ عن خلوِّ هذه القطعة منَ الآيةِ من حرفِ العطفِ (الواو): بأنّ هذه الجملةَ "لم يتقدّمْ قبلها التّنبيهُ على ما به التّذكار والاعتبار، مُفصحًا به تنبيهًا مع تخويفٍ وتهديدٍ، مُتأكّدٍ مُكرّرٍ يستدعي التّقريعَ والتّوبيخَ، بمقتضى الهمزةِ الدّاخلةِ على واو العطف، كما في سورة الشّعراء"[2]، أمّا سورةُ الشّعراء فقد تقدَّم قبلها ما هو أوضحُ في التّخويف والتّنبيه.

سرُّ دخولِ ﴿مِن﴾ على ﴿قَبْلِهِم﴾ هنا، وخلوِّهِ منها في آيات أخرى:

للتّهديدِ وشدَّةِ التّخويفِ لِعِظَمِ ما اقترفوه

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، في هذه القطعةِ منَ الآية أدخلَ حرفَ الجرّ ﴿مِن﴾ على ﴿قَبْلِهِم﴾، فيما لم تردْ في آياتٍ كثيرةٍ أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريم: 74]، وغيرها منَ الآيات، وسرُّ دخولها هنا لإفادتها التّوكيد؛ فإنّها "تزاد في هذه الآي حيث يرادُ تأكيده ضمن الآي منَ المعطيات، والإشارة إلى الوعيد... فحيث ورد في هذه الآي ما قبله استيفاءُ تفصيلِ وعيدين في أمّةٍ بعينها، أو أكثر، أو تكرّرُ التّهديد، وشدّةُ التّخويف من مُقتضى السّياقِ وفحوى الكلام؛ فذلك موضعُ زيادتِها، والتّأكيدُ بإثباتها، وحيثُ لا يتقدّمُ في اقتضاءِ مُقتَضاها نفوذُ الوعيد؛ فهذا يناسبُه الإيجازُ بحذفها"[3]؛

(1) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 2/483.
(2) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/141.
(3) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/142.

فقد تقدّمَ هذه الآيةَ حمدُه سبحانه، وخلقُ السّماواتِ والأرضِ، وجعلُ الظّلماتِ والنّورِ، ثمّ إعراضُهم عنِ الآيات الّتي تأتيهم، ثمّ تكذيبُهم واستهزاؤُهم؛ فهذه كلّها تدلُّ على عظيم مرتكباتِهم، وقبائح أفعالِهم؛ فورد التّأكيدُ بورود ﴿مِن﴾ مع ﴿قَبۡلِهِم﴾؛ لزيادة التّأكيد المناسبِ للتّهديد والوعيد الّذي يستحقونه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»